ذلك عيسى ابن مريم

إن الحمد لله، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

obeikandl.com

وبعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،،

فإلى كل من آمن بالله تعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإلى كل من يبحث عن حقيقة الإيمان الصحيح.

وإلى كل من غفل عن الحق، ووقع في شَرَك[1] الباطل، ونشأ في سرابيل المعتقدات الفاسدة.

إليكم هذه القصة التي أخطأ في سردها الكثير عبر القرون بين مُفرِّط في حقها، ومُفْرِط في تصورها.

ألا وهي قصة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(1) **الشَرَك**: حبائل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير، واحدته: «شَرَكة» وجمعها شُرُك، «اللسان» باب الشين مادة شرك.

obeikandl.com

الذي فرَّط اليهود في حقه فكفروا بنبوته وقذفوا أمه بالزنى.

وأفرط النصارى في حقيقته فرفعوه فوق بشريته.

حتى جاء القرآن الكريم فبين حقيقة المسيح ووضعه في مكانه اللائق به، فنزهه أن يكون من سفاح، بل هو رسولٌ كريم ونبي عظيم.

وليس هو إله كما يُزعم

وليس له من صفات الألوهية شيء، بل هو عبدٌ مخلوق مربوب لله تعالى.

فتعالى معي أيها القارئ نتأمل معًا في قصة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فإن كنت مسلمًا فبين يديك قصة نبي من أعظم الأنبياء تحوي فوائد طيبة، ومنافع جمة.

وإن كنت من عُبَّاد المسيح فبين يديك حقيقة واضحة اقرأها بعين العدل والإنصاف ودع عنك العصبية العمياء، والتبعية المذمومة.

obeikandl.com

بداية الحكاية:

تبدأ قصتنا في بني إسرائيل، تلك الأمة التي اصطفاها الله تعالى لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة قرونًا متباعدة.

ولكنهم طال عليهم الأمد، وغرتهم الحياة الدنيا، وغرهم بالله الغرور، ونسو حظًا مما ذُكروا به، ففسقوا عن طريق الإيمان وقست قلوبهم، وحرفوا ما بين أيديهم من التوراة.

وانتشرت بينهم الفرق الضالة والمعتقدات الباطلة، وامتلأت نفوسهم بالمادية حتى أصبحوا لا يُصدقون إلا الأمور الحسية؛ فأنكروا البعث والقيامة.

وشاع بينهم الربا، وأكل السحت، والفحش، والزنا... إلى غير ذلك من أصناف الذنوب وألوان الخطايا.

وبلغ من قسوة قلوبهم وكفرهم بآيات الله تعالى أنهم كانوا يقتلون النبيين بغير الحق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

obeikandl.com

وكان بنو إسرائيل لا تنقطع فيهم النبوة إلا أنهم كانوا لا يذعنون لوحي الله تعالى، ولا يصدقون بآياته ومعجزاته التي يجريها على أيدي أنبيائه.

فأرسل الله جل وعلا يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ على صفة غير مألوفة لعادة البشر ومغايرة لقوانين التناسل والتكاثر.

فجاء يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أمٍ عاقر عجوز ووالد وهن عظمه من الكبر، لتكون هذه آية لملوك وأحبار وشعب بني إسرائيل على قدرة الملك وإرادة المهيمن على الحق والبعث لعلهم يتقون أو يُحدِث لهم ذكرا.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: 38-40]، وفي إنجيل لوقا (1: 13-18): قال له الملاك: «لا تخف يا زكريا لأن طِلْبَتك قد سُمعت وامرأتك أليصابات[1] ستلد لك ابنًا وتسميه يوحنا...»، فقال زكريا للملاك: «كيف أعلم هذا، لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها».

ولكن أفئدة يهود المتحجرة لم تحرك ساكنًا أمام هذه الآية العظيمة بل ازدادت طغيانًا وجبروتًا.

فأُرسِل إليهم المسيح عليه الصلاة والسلام آية أعظم من التي جاء بها يحيى حيث خلقه الله من أم بلا أب.

(1) هذه اسم زوجة يوحنا كما ورد في الإنجيل.

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، فكان عمران صاحب صلاة بني إسرائيل لصلاحه وورعه وتقواه.

وكانت زوجة عمران لا تلد فرأت يومًا طائرًا يزق فرخًا له فاشتهت الولد فنذرت لله تعالى إن حملت لتجعلنّ ولدها محررًا، أي حبيسًا في بيت المقدس لخدمته، فحاضت من فورها، فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم ثم مات عنها عمران وهي في حملها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 36]، أي ليس الذكر في خدمة بيت المقدس كالأنثى، إذ الذكر أقوى على العمل وتحمل المشاق من الأنثى.

ولأنه كان من عادتهم أن الذكور للنذور، والبنات لخدمة البيوتات[1] ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، ومريم أي العابدة في لغتهم

(1) يجوز نذر الأنثى (لاوين 27: 1-7).

الناسكة في لسانهم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، أي دعت ربها جل وعلا أن يحفظ مريم وذريتها من مس الشيطان، فاستجاب الله جل وعلا لها، قال ﷺ: «**ما من مولود إلا والشيطان يمسَهُ حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إلا مريم وابنها**»(1)، وفي رواية: «**ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم**»(2).

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: 37].

تقبل الله تعالى من أم مريم نذرها قبولًا حسنًا مباركًا فحفظها، وتولاها، وأصلح شأنها، واجتباها.

واختار لها نبيًا من أنبيائه ليقوم على تربيتها وتهذيبها، ثم أتت أم مريم بمريم إلى بيت المقدس بعد رضاعها وكفالة مثلها فسلمتها

(1) أخرجه البخاري في «الفتح» أحاديث الأنبياء، ومسلم في «الفضائل».
(2) أخرجه مسلم في «الفضائل» بنحوه»

obeikandl.com

لعباد المسجد، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها وتنافسوا على تربيتها.

وكان زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي هذا الزمان فأراد أن يفوز بتربيتها، ويجوز ثواب كفالتها، وكان زوج خالتها.

ولكن أهل المسجد رفضوا ذلك وسألوه أن يقترع معهم فوافق عَلَيْهِ السَّلَامُ على طلبهم.

قال ابن كثير: فقال زكريا: «ادفعوها إليّ فإن خالتها تحتي» فقالوا: «لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها».

ورُوِي عن بعض السلف: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن، واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت، ويُقال إنه ذهب صُعُدًا يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام..[1].

(1) قال ابن كثير: إنه ورد عن عكرمة والسدّي وقتادة والربيع وغير واحدٍ.

obeikandl.com

فكانت مشيئة الله تعالى أن يكون الكافل لمريم والمربي لها نبي من أنبياءه ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44]، فتولاها زكريا أحسن ولاية، ورعاها أحسن رعاية.

فنشأت صالحة عابدة قانتة لله جلَّ وعلا، لها محراب تتعبد لله به لا يدخل عليها هذا المحراب سوى زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

واجتهدت مريم في عبادة الله جلَّ وعلا، فلم يكن أحدٌ في هذا الزمان يُضاهيها في فنون العبادات وأنواع الطاعات.

حتى نالت أعلى درجات الولاية من الله جلَّ وعلا، وبدأت تظهر لها الكرامات والعلامات التي تدل على مكانتها العالية عند الله جلَّ وعلا.

فكان زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدخل عليها المحراب فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، والصيف في الشتاء[1].

(1) ذكره ابن كثير عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد.

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: 37].

obeikandl.com